ومعنى حصل جمع في الصحف أي: أظهر محصلاً مجموعًا. وقيل: ميز بين خيره وشره، ومنه قيل للمنخل: المحصل. ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لأنّ ذلك أثر خبره بهم.

إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾.

وقرأ أبو السمال: إنّ ربهم بهم يومئذٍ خبير. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسناتٍ بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعًا»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القارعة مكية

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾.

الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي: تقرع.

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾.

﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾. شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار. قال جرير:

إن الفرزدق ما علمت وقومه ... مثل الفراش غشين نار المصطلي

وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل، وسمي فراشًا لتفرّشه وانتشاره.

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾.

وشبّه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانًا لأنها ألوان، وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها. وقرأ ابن مسعود: كالصوف.

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾.

الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله، أو جمع ميزان. وثقلها رجحانها. ومنه حديث أبي بكر لعمر رضي الله عنهما في وصيته[2] له وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلا الحسنات أن يثقل.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾.

وإنما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلا السيئات أن يخف.

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾.

﴿فأمه هاوية﴾ من قولهم: إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمّه[3] لأنه إذا هوى أي: سقط وهلك فقد هوت أمّه ثكلاً وحزنًا. قال:

هوت أمّه ما يبعث الصبح غاديًا ... وماذا يردّ الليل حين يؤوب

فكأنه قيل: وأما من خفت موازينه فقد هلك. وقيل: هاوية من سماء النار، وكأنها النار العميقة لهوى أهل النار فيها مهوىً بعيدًا. كما روي: يهوي فيها سبعين خريفًا[4]. أي: فمأواه النار. وقيل: للمأوى أمّ على التشبيه لأنّ الأمّ مأوى الولد ومفزعه. وعن قتادة: فأمّه هاوية أي: فأمّ رأسه هاوية في قعر جهنم، لأنه يطرح فيها منكوسًا.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾.

﴿هيه﴾ ضمير الداهية التي دلّ عليها قوله: فأمّه هاوية. في التفسير الأوّل، أو ضمير هاوية والهاء للسكت، وإذا وصل القارئ حذفها وقيل: حقه أن لا يندرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف، وقد أجيز إثباتها مع الوصل. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة»[5].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التكاثر مكية

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾

ألهاه عن كذا وأقهاه إذا شغله. و**﴿التكاثر﴾** التباري في الكثرة والتباهي بها، وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر. روي أن بني عبد منافٍ وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددًا فكثرهم بنو عبد منافٍ فقالت بنو سهم: إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالأحياء والأموات، فكثرتهم بنو سهم، والمعنى: أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات. عبّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكمًا بهم. وقيل: كانوا يزورون المقابر فيقولون: هذا قبر فلان وهذا

---

(1) ذكره الثعلبي والواحدي وابن مردويه 4/297.

(2) رواه ابن أبي شيبة 14/573، كتاب: المغازي، باب: خلافة عمر.

(3) قال أحمد: والأوّل أظهر؛ لأنّه مثل معروف كقولهم لأمه: الهبل.

(4) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة قعر = جهنم (الحديث رقم: 2575)، وأخرجه الحاكم في المستدرك 4/597.

(5) أخرجه البخاري في الرقاق، باب: حفظ اللسان، (الحديث رقم: 6478).

قبر فلان عند تفاخرهم. والمعنى: ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعني من كل مهم، أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها، إلى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم. وزيارة القبور عبارة عن الموت قال:

لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد أو يزور القبر

وقال:

زار القبور أبو مالك فأصبح الأمر زوارها

وقرأ ابن عباس: ألهاكم، على الاستفهام الذي معناه التقرير.

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾.

﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه. ﴿سوف تعلمون﴾ إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم. والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم.

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾.

و ﴿ثم﴾ دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل وأشدّ كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لا تفعل. والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله، وإنّ هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم.

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾.

ثم كرّر التنبيه أيضًا وقال: ﴿لو تعلمون﴾، محذوف الجواب، يعني: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي: كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعلمها همتكم لفعلتم ما لا يوصف، ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة، ثم قال:

لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾.

﴿لترونّ الجحيم﴾ فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به. وقد مرّ ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من تفخيمه وتعظيمه في التهديد وزيادةً في التهويل. وقرئ*: لترؤن بالهمز وهي مستكرهة.

فإن قُلْتَ: لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد! **قُلْتُ**: ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين.

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾.

وقرئ*: لترون ولترونها على البناء للمفعول. ﴿عين اليقين﴾ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والإبصار.

ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾.

﴿عن النعيم﴾ عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه.

فإن قُلْتَ: ما النعيم الذي يسئل عنه الإنسان ويعاتب عليه فما من أحد إلا وله نعيم؟ **قُلْتُ**: هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب، لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما. فأما من تمتع بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضًا بالشكر فهو من ذاك بمعزل، وإليه أشار رسول الله ﷺ فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرًا وشربوا عليه ماءً فقال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»[1]. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العصر مكية

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾.

أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى: ﴿والصلاة الوسطى﴾[3] صلاة العصر في مصحف حفصة. وقوله عليه الصلاة والسلام: «مَن فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»[4]. ولأنّ التكليف في أدائها

---

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: الزكاة، باب: المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة، (الحديث رقم: 3411) والنسائي في كتاب: الوصايا، باب: قضاء الدين قبل الميراث، (الحديث رقم: 3640) أخرجه أبو داود في كتاب: الأطعمة، باب: ما يقول الرجل إذا طعم (الحديث رقم: 3850) وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا فرغ من الطعام، (الحديث رقم: 3457).

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/ 278.

(3) سورة البقرة، الآية: 238.

(4) أخرجه أحمد في المسند 2/54، 134 ـ 145. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 1/342.